سماحة الفقيه المجدِّد المرجع
السيد محمد حسين فضل الله (رض)

مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في صفات المتّقين

إعداد وتنسيق
الدكتور السيّد محمد رضا فضل الله

إصدار
المركز الإسلامي الثقافي - مجمع الحسنين (ع)
لبنان - حارة حريك

مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

في شرح خطبة المتّقين


بسم الله الرحمن الرحیم

سماحة الفقيه المجدِّد المرجع
السيد محمد حسين فضل الله(رض)

مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام
في شرح خطبة المتّقين

إعداد وتنسيق
الدكتور السيّد محمد رضا فضل الله

إصدار
المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام _ حارة حريك

مقدّمة

كان السـيد (رضـوان اللّه عليه) وعندما يتحدّث عن عليّ عليه السلام يردّد: «**إنّني أذوب عندما أتحدّث عن عليّ**»... يذوب عشـقاً وحبّاً والتزاماً وسـيراً في خـطّ عليّ، خطّ الإسلام...

«**عليّ فوق العصمة**» هذا ما تعلّمناه تحت منبره، ومَن كان فوق العصـمة، فإنّه النور الذي لا ظلمة فيه، والحقّ الـذي لا يأتيـه الباطل، والطُّهر الـذي لا يقترب الرجس منـه.. هـو علـيٌّ تلميـذ رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم تلميذ مدرسـة القرآن..

هكذا غرس السيّد (رض) في نفوسنا حبّ عليّ، فحبّ علـيٍّ ينطلق مـن حبِّ اللّه وحبِّ رسـول اللّه، وهذا الحبّ



يفتح آفاق التقوى واسعة أمام العيون والقلوب..

ولـذا، فإنّنا نفخـر في المركز الإسـلامي الثقافي أن ننشر شرح السـيّد (رض) لصـفات المتّقين المأخوذة من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه عن المتّقين... وقد عمـل مشـكوراً الأخ العزيـز الدكتور السـيّد محمد رضا فضـل الله على إعداد وتنسيق أبحاث ودروس هذه الخطبة، التي نعتزّ بوضعها بين أيدي القرّاء...

والله المسدّد..

مدير المركز الإسلامي الثقافي
شفيق محمد الموسوي
جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ
أيار ٢٠١١ م



مناسبة الخطبة

رُوي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام يُقال له «همّام»، وكان رجلاً عابداً فقال: يا أمير المؤمنين!... صِفْ لي المتّقين، حتّى كأنّي أنظر إليهم...

فتثاقل الإمام عليه‌السلام عن جوابه، وكأنّه كان يخاف عليه من الصّدمة، ثم قال: «**يا همّام!... اتقِ الله وأحسن**، ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

فلم يقنع همّام بهذا القول، فهو ككلّ مسلم من المسلمين، عندما يقرأ القرآن، يجد الحديث عن التّقوى والمتّقين يتكرّر في أكثر من سورة، ويرى أنّ اللّه تعالى أعدَّ الجنّة للمتّقين... هنا من الطّبيعيّ أن يؤكّد مثل همّام على معرفة تفاصيل صفاتهم، ومدى ما ينتظرهم من درجاتٍ عُليا في جنّات النعيم.



ولمّـا رأى الإمـام عليه السلام إصـرار همّام علـى المعرفة التفصيليّة لعناصر شخصيّات المتّقين، حمد اللّه وأثنى عليه، ثم صلّى على النبيّ وآله، وقال:

أمّا بعد... فإنّ اللّه سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيّـاً عن طاعتهـم، آمِناً من معصيتهـم، لأنّه لا تضرُّه معصيـةُ مَنْ عصاه، ولا تنفعُه طاعةُ مَنْ أطاعه، فقسّم بينهم معيشتَهم، ووضعهم من الدّنيا مواضعَهم.

اللّه هو الغنيّ الحميد

- إنّ اللّه سـبحانه خلق الخلق حيـن خلقهم غنيّاً عن طاعتهم آمناً من معصـيتهم، لأنّه لا تضـرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه...

- اللّه تعالى هو الخالق الذي أنشأ الوجود بعد العدم: **﴿هَـلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِّـنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾** [الإنسان:١].

- واللّه تعالى هو الخالق الذي أعطى الإنسـان الجسد والعقل وكلّ الأجهزة التي تحكم حياته.



ـ والله تعالــى هــو الخالق الرّازق الذي زوّد الإنســان بــكلّ ما يحتاج إليه في وجوده، وأنعــم عليه بكلّ ما يؤمّن له اســتمرار حياته: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل : ٥٣]. فالنّاس يحتاجون إليه في كلّ شَــيء، وهو عزّ وجلّ لا يحتاجهم في شــيء: «**يـا من يكفي مـن كلّ شيء، ولا يكفي منه شيء، إكفني ما أهمّني ممّا أنا فيه، من أمور الدّنيا والآخرة يا أرحم الراحمين**».

ـ والله تعالــى خلق الخلق من موقع كرمه، غنيّاً عنهم وعن طاعتهم. فهُم الفقراء إلى الله، لا يملكون شــيئاً إلا منه، ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً إلا به، والله تعالى هــو الغنــيّ الحميد، كان ولــم يكن أحد. وســيبقى وحده ولا أحــد: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَــى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦ـ٢٧].

فــالله تعالى خلق الخلق وهو غنيٌّ عن طاعتهم، وهو ـ في الوقت نفســه ـ آمِنٌ من معصــيتهم، أي لا يخاف من معصيتهم وانحرافهم، بحيث لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضــرّه معصية من عصاه، ولذلك لا يحمّلنّ أحدٌ الله



جميلاً لأنّه أطاعه: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

- «**فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدّنيا مواضعهم**»: والله تعالى قسّم الأرزاق بين عباده من خلال تقديره وحكمته، فقدّم لكلّ إنسانٍ قُوتَه ليختبره ويبتليه، أيشكر أم يكفر؟... أيصبر أم يجزع؟...

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥ـ ١٦].

والله تعالى يؤكّد حقيقة الامتحان والاختبار هذه فيقول: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢ـ٣].

إذن الله تعالى قسّم بين الناس معيشتهم في الحياة الدنيا، ووضعهم في مواضعهم، فأعطى لكلّ واحد موقعاً، وأعطى لكلّ فردٍ حجماً، فليس لأحدٍ أن يغيّر ويبدّل، ولا



أن يحجّم من أراد اللّهُ له أن يكون كبيراً، ولا أن يكبّر من أراد اللّه له أن يكون صغيراً:

«إلهي إن وضعتني فمن ذا الذي يرفعني، وإن رفعتني فمن ذا الذي يضعني».

ما نستفيده من هذا في حياتنا العمليّة: أنّ الإنسان حينما يحاول خصومه والمُعقَّدون من النّاس النَّيْلَ منه، وتهديمَ شخصيّته، فعليه أن يثبت، ويؤمن أن لا أحد يقدر على ذلك، فالقلوب بيد اللّه، لا بيدي ولا بيدك، من نحن أمام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟.. واللّه يخاطبه:

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ...﴾ [الأنفال:٦٣].

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦].

وأكبر مصداقٍ لهذا الواقع ما أشار إليه «أحمد بن حنبل» وهو يتحدّث عن أمير المؤمنين عليه السلام:



«مـا أقول فـي رجلٍ جَهد مُحبّوه فـي إخفاء فضائله خوفـاً، وجهد أعداؤه في إخفـاء فضائله حسداً، وظهر ما بين ذَيْنِ وذَيْنِ ما ملأ الخافقَين».

ومن المعـروف أنَّ معاوية بن أبي سـفيان فرض على خطباء المساجد سبَّ الإمام عليٍّ عليه السلام، وظلّوا على ذلك مدّة سبعين سنة، فماذا كانت النتيجة؟

يُروى أنّ «عبد اللّه بن عباس» قال لمعاوية: يا معاوية... لقد مـات الرّجل وحاولت في حياته أن تُبعِد النّاس عنه، والآن كُفَّ عن سـبّه. أجاب معاوية: حتّى يشبّ على ذلك الصّغار، ويشيب عليه الكبار.

ورغم كلَّ ذلك، فإنَّ الموقع الذي يعطيه اللّه للإنسان، لا يسـتطيع أحد أن يزعزعه عنه، لذا عليه أن يشكر ربّه، ويثق به، ويقول: حسـبي اللّه ونعم الوكيل وأكبر مصداق علـى ذلـك أميـر المؤمنين علـيّ عليه السلام الذي مـات ذِكرُ أعدائه وبقي ذِكرُه حيّاً يملأ الدنيا.



المتّقون هم أهل الفضائل...

«... فالمتّقـون فيهـا هـم أهـل الفضائـل، منطقُهـم الصـواب، وملبسُهـم الاقتصـادُ، وَمشيُهـم التواضـع، غَضُّوا أبصارَهم عَمّا حرّم الله عليهم، وَوَقفوا أسماعَهم علـى العلم النّافع لهم، نُزّلت أنفسُهم منهم في البلاء، كالتي نُزّلت في الرخاء...».

- المتّقون في الحياة الدّنيا هم أهل الفضائل، يمتازون بأخلاقهـم الفاضـلة، وعقولهـم الحكيمـة، وسـلوكهم القويم... ومن مفردات فضائلهم:

أ - «**منطقهـم الصـواب**»: إنّهم ينظرون بعين الله، لا يقولون إلا الحق، ولا يُخطئون في الكلام، فهم لا يُطلقون كلامهم بعشوائيّة، يدرسون كلماتهم، يفكّرون بنتائجها، قبل أن يحدّثوا بها.

ب- «**وملبسهـم الاقتصاد**»: فهم لا يأخذون بأسـباب التّرف بما يؤدّي إلى الإسراف، والله لا يحبّ المسرفين، أو بما يؤدّي إلى التبذير: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٧] كُنْ مقتصداً -

أيّها الإنسان -، معنى أن تكون مقتصداً أن تقدّر ملبسك ومسكنك وحياتك بمقدار حاجاتك.

ج - «**ومشيهم التواضع**»: يقول اللّه تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً**﴾ [الفرقان:٦٣].

فهم المتواضعون الذين يعرفون أنفسهم على حقيقتها، لا يدّعون ما ليس فيهم، يُخفضون جناحهم لمن هم أدنى منهم، لا يتكلّفون في كلامهم ومشيهم وحركاتهم، يُصغون إلى ملاحظات الآخرين، ويستفيدون من تجاربهم.

- إنّ اللّه تعالى يحذّر المؤمنين من التكبّر والتعالي والاستعلاء، فيقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾ [الإسراء:٣٧].

﴿**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان:١٨].

إنّ مظهر الكِبْر هو نقطة ضعفٍ في شخصيّة الإنسان، ودليل ذلٍّ يشعر بها في أعماق نفسه، فالقويّ الواثق



بنفسه لا يحتاج إلى كلّ هذه المظاهر الزائفة، فقوّته في داخل نفسه يشعر بأهميّتها النّاسُ دون تكلُّف.

د - «غضّوا أبصارهم عما حرَّم الله عليهم...».

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ..﴾ [النور: ٣١].

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم».

المتّقون هم الذين يمشون على الأرض هَوْنا، لا يرفعون أبصارهم إلاّ إلى ما أحلّه اللّه، ولا يصغون بأسماعهم إلّا إلى ما أحلّه اللّه أيضاً، إنّهم الفضلاء الذين يعيشون الحياء مع اللّه والنّاس.

هـ - «ووقفوا أسماعهم على العلم النّافع لهم»...

ولمّا كان السّمع هو النّافذة التي تطلّ على العقل وتموّنه، فالمتّقون لذلك لا يريدون أن يُدخِلوا إلى أسماعهم لهوَ الكلام، فهم إذا ما سمعوا أحداً يتكلّم،

أصغوا، فإذا رأوا بكلامه علماً نافعاً يرفع من مستواهم العقليّ والعلميّ والدّينيّ الأخلاقي... استمعوا بمسامع قلوبهم، ووعوه بمجامع عقولهم، وحوّلوه إلى سلوك يزيّن حياتهم.

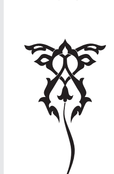
أمّا إذا رأوا كلاماً هزيلاً لا غنى فيه ولا فائدة، فإنّهم يُغلقون أسماعهم لأنّ السّمع - كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام - **هو فوهةٌ تدخل إلى العقل.**

وبهذه المناسبة نؤكّد بأنّك عندما تستمع لشخص يَعِظ أو يُرشد، ومهما كان موقعه، عالِماً أو خطيباً أو مُثقّفاً، أنظر إلى مدى وعيه للعلم، فالكثير منهم يعيشون الجهل باسم العلم، كما يعبّر الشاعر:

وقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ

لا تسلِّم عقلك إلا لمن يملك المسؤوليّة في عقله، فيعطي النّاس معارف وخبرات أعمل فيها درساً وبحثاً وتحليلاً، بحيث تتحوّل إلى دراساتٍ ومشاريع تطوّر حياة النّاس.



و ـ «**نُزِّلت أنفسهم منهم في البلاء، كالتي نُزِّلت في الرخاء**»...

المتّقون هم الذين يعيشون حالة التوازن في كلِّ تجاربهم الحياتيّة، في السرّاء والضرّاء، فلا يصيبهم الزهو والاستعلاء في حالة الرّخاء، ولا يصيبهم الخوف والجزع واليأس في حالة البلاء، يشكرون اللّه ويحمدونه في كلِّ حالاتهم مردّدين ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١].

«**ولعلّ الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور**».

«**ورضّني يا ربِّ من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين**».

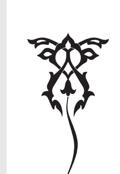
فالإنسان في الحياة الدّنيا تمرّ عليه ألوان من البلاء، كما تمرّ عليه حالاتٌ من الرّخاء، والمؤمن التّقي يتوازن ويتماسك سواء في البلاء أو الرّخاء، فلا ييأس ولا يستسلم مهما كانت المصاعب والضغوط، ولا يطغى ولا يبطر مهما كانت الأرباح والنجاحات... وحتّى لو أقبلت الدّنيا بكاملها إليه. إذا أقبلت الدّنيا واجهها بشكر ومسؤوليّة، وإذا جاءه البلاء واجهه بصبرٍ وأمل، علَّ اللّه يُحدث بعد عسرٍ يسراً، وبعد شدّةٍ فرجاً.

حالة اليقين عند المتّقين

«... ولولا الأجل الذي كُتب لهم، لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفةَ عين، شوقاً إلى الثّواب، وخوفاً من العقاب. عَظُم الخالق في أنفسهم، فصَغُر ما دونه في أعينهم. فهم والجنّة كمن قد رآها، فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذّبون. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسَّرها لهم ربّهم، أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها، وأسرتهم فَفَدُوا أنفسهم منها».

١ ـ الشوق إلى الآخرة: «**ولولا الأجل الذي كُتب لهم، لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفةَ عين، شوقاً إلى الثّواب، وخوفاً من العقاب...**».

ـ المتّقون ـ كما يصوّرهم الإمام عليه السلام ـ هم رجال (أو نساء) يُفكّرون دائماً بالآخرة، ويستعجلونها، هم يبقون في حالة قلقٍ بانتظار الأجل الذي كتبه الله عليهم،



ولـولاه لطارت أرواحهم من أجســادهم شـوقاً إلى ثواب الله، وخوفاً من عقابه.

- يبقــى المؤمــن التقيّ في كلّ حالاتــه راجياً، خائفاً، راغبــاً، راهباً... يفكّر بأحوال الآخــرة، حتّى إذا ما فكّر في شــأنٍ من شـؤون الدّنيــا، فإنّه يفكّــر انطلاقاً من أن يجعلها مزرعةً للآخرة.

- المؤمن الذي يأخذ بأسـباب التّقوى هو الذي يعتبر الدّنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، لذا فهو يزهد بالدّنيا ولا يستســلم لإغراءاتها، ولا يســتغرق في متطلّباتها، بل يفكّر بالآخرة وهو بحالة شوقٍ إلى لقاء ربّه، والفوز بنعيم ربّه تبارك وتعالى.

٢ - عظمــة الخالق في نفوســهم: «**عَظُم الخالق في أنفسهم، فصَغُر ما دونه في أعينهم...**».

- تمثّلت عظمة الخالق لدى المتّقين يقيناً في عقولهم وإحساســاً عميقاً في وجدانهم، درســوا الكــون بما فيه، الشّمس تشــرق بوقتها، وتلتزم السّــير بمدارها، وكذلك القمر وجميــع النجوم والكواكب... كلّ مــا في الكون هو

مـن إبداع اللّه، وكلّ موجود هو مخلـوق للّه، وكلّ محمود اكتسـب الحمد من اللّه، وكلّ قويٍّ استمدَّ القوّة من اللّه، وكلّ عالِم اسـتلهم العلم من اللّه... وكلّ الخلائق يمثّلون المظهر لقدرة اللّه تعالى.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ...﴾ [النحل:٥٣].

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨].

المتّقـون حينما يتمثّلـون القوي، ويقارنـون بين قوّته وقوّة اللّه يرون: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً﴾ [البقرة : ١٦٥]

المتّقون حينما يرون العالـم، ويقارنون بين علمه وعلم اللّه... يردّدون: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْـرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

﴿وَيَعْلَـمُ مَـا فِـي السَّمَـاوَاتِ وَمَا فِـي الأرْضِـ...﴾ [آل عمران:٢٩].

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].



يقول الإمام علي عليه السلام مصوّراً عظمة الله سبحانه وتعالى: «**ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله خلفه أو معه**».

«**عظُمَ الخالق في أنفسهم، وصَغُر ما دونه في أعينهم**» حينما تقول: الله أكبر، يجب أن تفكّر بكلّ الكبار في الدّنيا، فتجدهم صغاراً بل أقزاماً أمام الخالق الجبّار.

٣ ـ ما بين نعيم الجنّة وعذاب النّار: «**فهم والجنّة كما قد رآها فهم فيها مُنعَّمون، وهم والنّار كمن قد رآها، فهم فيها معذّبون**».

ـ المتّقون، ولعمق يقينهم، يعيشون أحلام الجنّة، ويتنفّسون مناخ الجنّة، حتّى كأنّهم، ولشدّة تفكيرهم بالجنّة وشوقهم لها، يرونها ماثلةً نُصبَ أعينهم، يتفيّأون ظلالها، ويتنعّمون بخيراتها.

ـ والمتّقون، ولعمق يقينهم، يتصوّرون عذاب النّار، وأحوال أهل النّار: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ*ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ*ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ**﴾ [الحاقة: ٣٠ـ٣٢].

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

- المتّقون، باختصار، يعيشون أجواء الجنّة كما لو رأوها بأعينهم، وهم يعيشون أهوال النّار، كما لو رأوها بأعينهم.

- والمتّقون وهم على هذا اليقين من واقع الجنّة وواقع النّار، كيف هو حالهم؟.

أ - «**قلوبهم محزونة**»: يعيشون حالة طوارئ، فهم محزونون خوفاً من نار جهنّم، وخوفاً من عقاب اللّه تعالى.

ب - «**وشرورهم مأمونة**»: فهم لا يفكّرون بالشّر، ولا يعملون له، يعيش النّاس معهم الأمان، الخير منهم مأمول، والشرّ منهم مأمون.

ج - «**وأجسادهم نحيفة**»: من خلال الزّهد الذي يُمارسونه، لا طموحات مادّية لهم في الدّنيا، يقتصر استهلاكهم على حاجاتهم الضروريّة، سواء



الشخصيّة أو العائليّة أو الاجتماعيّة. طموحاتهم تتّصل فقط بالخير والطّاعة والرّغبة برضا اللّه تعالى ومحبّته.

د - «**وأنفسهم عفيفة**»: عفيفةٌ لا تقترب من المال الحرام، والأكل الحرام، والشرب الحرام، واللّعب الحرام، والشهوة الحرام، والموقع الحرام، والقوّة الحرام... وكلّ ما هو حرام.

هـ - «**صبروا أياماً قصيرة، فأعقبتها راحةٌ طويلة**» وهذه تجارة مربحة يسرّها لهم ربّهم، وهل أعظم من تجارة كهذه تحصل فيها على الخلود في الجنّة؟ واللّه تعالى يقول: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الصف:١٠]، ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...**﴾ [النور:٢].

أرادتهم الدّنيا فلم يُريدوها، والمقصود بالدّنيا هنا هي دنيا الشّهوات المحرّمة، دنيا معصية اللّه، الدّنيا التي تُنسي الآخرة، الدّنيا التي رفضها الإمام عليّ عليه السلام حين خاطبها بالقول: «**يا دنيا غُرّي غيري قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي بعدها أبداً**».

- «**أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها، وأَسَرتهم ففدوا أنفسهم منها**»: إنّهم من خلال جهدهم وتعبهم وانقطاعهم إلى اللّه حرّروا أنفسهم من قيود هذه الدّنيا وشرورها.

وبالمناسبة يحدّثنا اللّه تعالى في كتابه المجيد عن العائلة المؤمنة الصابرة التقيّة، وما ينتظرها من ثواب.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ*سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد:٢٣-٢٤]

المتّقون في ظلام اللّيل: مع تلاوة القرآن ووعي معانيه

«**... أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا، يُحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم...**

وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف، أصغوا إليها مسامع



قلوبهـم، وظنّـوا أنّ زفيـر جهنّـم وشهيقهـا فـي أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم وأكُفّهـم، وركُبهم، وأطراف أقدامهـم، يطلبون إلى اللّه في فكاك رقابهم».

١ ـ مع الصلاة وتلاوة القرآن: «... **أما الليل فصافّون أقدامهـم، تاليـن لأجـزاء القـرآن يرتلونـه ترتيـلا، يحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم...**».

عندمـا يُرخي اللّيل سـدوله، ويشـتدّ ظلامه، يتخفّف المتّقون من أشغالهم اليوميّة، ومسؤوليّاتهم الاجتماعيّة ليقفوا بين يدي اللّه في هدوءٍ وسكينة.

أ ـ مـع الصّـلاة: «**صافّـون أقدامهـم...**». فالمتّقون في صـلاتهم يصـفّون أقدامهـم، ليقفوا بيـن يدي اللّه خاشعين خاضـعين، ليعرجوا بأرواحهم إلى ملكوت اللّه تعالى، لأنّ الصّـلاة في جوهرها هي معراج روح المؤمن إلى اللّه تعالى.

ـ وأهميّة الصلاة ـ هنا ـ تكمن في أنّ المؤمن يتطهّر



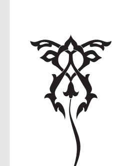
بها لا طهارة الجسد فقط بل طهارة العقل: عندما يبسط عقلـه بين يـدي اللّه تعالى، فـلا يجد فيـه اللّهُ إلا الحقّ والهدى.

... وطهـارة القلب: عندما يبسـط قلبه بين يدي اللّه تعالى، فلا يجد فيه سوى الحبّ والخير...

... وطهـارة الحيـاة: عندمـا ينفتح بحياتـه على اللّه تعالى، فلا يجد فيها اللّه غير العدل والإحسان.

لذلك شـبّه النبيّ ﷺ الصـلاة بعين مـاء، تكون على باب الإنسـان، فيغتسـل فيها خمس مرّاتٍ في اليوم، فلا يبقى على جسده شيءٌ من الدّرن.

نعـم... عندما يصـلّي الإنسـان لربّـه، فإنّـه يتطهّر بالصّـلاة في روحـه وعقله وقلبـه وحياتـه... أمّا الآخر الذي يرفض أداءها، فإنّـه محرومٌ من هـذه الطّهارة، ومـن ذلك اللّقاء الحميم مع ربّه، ومن كلّ ما يغيّر حياته نحو السّـمو في الإنسـانيّة والقِيَم والأخـلاق: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت:٤٥].



الآخر الذي يتمرّد على اللّه بترك الصّلاة هو إنسانٌ شغلته دنياه عن اللّه تعالى ليركع ويسجد لعباد اللّه، وما النتيجة؟ العبوديّة والسّقوط وسوء المصير...على هذا الأساس اعتبر اللّه تعالى «**الصّلاة عمود الدّين، إن قُبِلت قُبِلَ ما سواها، وإن رُدّتْ رُدَّ ما سواها**».

فالصّلاة هي التي تجعل الدّين في عمق وجدانك، وهي التي تؤصِّل حضور اللّه تعالى في كلّ حياتك، لذا يتمّ التأكيد على المحافظة عليها في كلّ الظّروف والأحوال، فهي أساس الفلاح وقاعدة النّجاح.

﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[المؤمنون:١-٢]، ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾[المؤمنون:٩].

أمّا ترك الصلاة، أو التهاون في أدائها، فهو من الكبائر التي يستحقّ فيها الإنسان العذاب الأليم، فاللّه تعالى يحدّثنا عن أهل النّار في حوارهم مع أهل الجنّة: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ*إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ*فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ*مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ**

نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ *وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ *وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ *وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدّثر: ٣٨ـ٤٦].

مسؤوليّة الآباء والأمّهات وجميع المُربّين أن يستخدموا كلّ الأساليب الحكيمة في تعليم أبنائهم الصّلاة من أجل أن ينشأوا على حبّها وحبّ كلّ من يلتزم بها. والله تعالى يؤكّد ذلك على النبيّ ﷺ من أجل أن يتأكّد ذلك في سلوكنا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصلاَّةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

ب ـ مع القرآن الكريم ﴿تالِينَ لأَجْزاء القُرْآن يُرَتِّلونَهُ تَرْتيلا﴾. والقرآن الكريم هو كتاب الله تعالى، ووحيه إلى رسوله، فيه تعاليمه وأحكامه، فيه حلاله وحرامه، والمتّقون ينطلقون منه كأساسٍ لتحديد سلوكهم، فهم التّالون لأجزاء القرآن.

وقد ورد في بعض الأحاديث استحباب أن يقرأ المسلم في كلّ ليلةٍ خمسين آيةً على الأقل.

ولكن كيف يقرأ القرآن؟... «**يرتّلونه ترتيلا**»، يقرأونه بهدوءٍ ووعيٍ وخشوع، وبصوتٍ حزين، «**يحزّنون به**

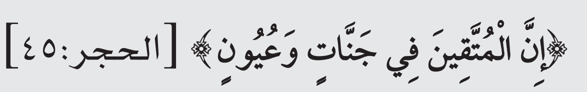
أنفسهم»، فهم في حالة قلقٍ على المصير، و«**يستثيرون به دواء دائهم**»

- فالمتّقون يجلسون مع القرآن الكريم، ليستبينوا طبيعة أمراضهم الروحيّة والأخلاقيّة، وليبحثوا عن الشفاء في ثنايا القرآن، في تعاليم اللّه وإرشاداته: ﴿قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

٢ - حال المتّقين مع الجنّة: «**فإذا مرّوا بآية فيها تشويق، ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم...**».

وأثناء تلاوتهم لأجزاءٍ من القرآن الكريم قد يمرّون بآياتٍ تتحدّث عن الجنّة، وما ينتظر المتّقين من سعادةٍ ونعيم.


﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥]

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور:١٧]

«**فإذا مرّوا بآيةٍ فيها تشويق** - حديثٌ عن الجنّة ونعيمها-، **ركنوا إليها طمعاً**،- أي انفتحوا عليها، طمعاً في أن يعطيهم اللّه في هذه الآية من وعي للخير، ووعي للفهم... ثم إنّ نفوسهم تطلّعت إليها شوقاً للقاء اللّه تعالى، كلّ ذلك وهم يعيشون حالة اليقين كواقعٍ يجري نصب أعينهم.

٣ - حال المتّقين مع النّار: «**وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف، أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم...**».

«**فإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف**... حديثٌ عن النّار وشقائها، **أصغوا إليها مسامع قلوبهم**»:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢].

فهم لا يستمعون بآذانهم دون وعي، بل ينفتحون عليها مـن خلال عقولهـم وقلوبهـم... حتى يتدبـروا أمرهم، ويعرفـوا مـا في هذه الآيـة من تخويف لمن عصـى اللّه وكفـر برسـالاته «**وظنّـوا أن زفيـر جهنـم وشهيقها في أصول آذانهم**»...

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُـواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ *خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ـ١٠٧].

إنّهم يتصوّرون جهنّم ماثلةً أمامهم، لذا «**فهم حانون على أوساطهم**»، يركعون ويسـجدون، **يفترشون** الأرض بجباههـم وأكُفّهـم ورُكبهم وأطـراف أقدامهـم، وكلّها إشارةٌ إلى السّجود، «**يطلبون إلى الله في فكاك رقابهم**» **﴿رَبَّنَا آتِنَا فِـي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [البقرة:٢٠١].

﴿تِلْـكَ عُقْبَـى الَّذِيـنَ اتَّقَـواْ وَّعُقْبَـى الْكَافِرِيـنَ النَّـارُ﴾ [الرعد:٣٥].



المتّقون في وضح النهـار: حكماء، علماء، أبرار أتقياء.

«... وأمّـا النّهـار فحُلمـاء عُلمـاء، أبـرار أتقيـاء، قـد براهـم الخـوف بـري القـداح[1]، ينظـر إليهـم النّاظـر فيحسبهـم مرضـى، وما بالقوم من مرض، ويقول قد خولطوا»[2].

«وقـد خالطهم أمرٌ عظيم، لا يرضـون من أعمالهم القليـل، ولا يستكثـرون الكثيـر، فهـم لأنفسهـم متّهِمون، ومـن أعمالهم مشفِقـون[3] إذا زُكّي أحدهم[4]، خاف ممّا يُقال له، فيقول: «أَنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي من نفسي، اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون».

١ ـ المتّقون حُلماء عُلماء، أبرار أتقياء: أما في وضح النهار فهم:

(١) بري القداح: رقع الخوف أجسامهم كما ترقع السهام بالنحت
(٢) خولطوا: خولط في عقله: مازجه خلل فيه خالطهم أمر عظيم: هو الخوف الشديد من الله تعالى
(٣) مشفقون: خائفون من التقصير فيها
(٤) زُكيَّ أحدهم: مدحه أحد



ـ **حُلماء:** يعيشـون سـعة الصّـدر لمن أسـاء إليهم، ويمتصّـون كلّ المشـاعر السلبيّة في نفوسـهم، يدرؤون السـيّئة بالحسـنة، ويدفعون بالتي هي أحسـن، ويقولون للنّاس حُسناً.

ـ **عُلمـاء:** يأخذون بأسـباب العلـم. ليثقّفوا عقولهم، ويُعلِّمـوا النّاس مِـنْ حولهـم، إنّهم يعرفـون قيمة العلم ودوره فـي تنمية مَلَكَـة التّقوى لديهم، فكلّمـا زاد علمه، عرف الله أكثر، وخشي الله أكثر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر : ٢٨].

ـ **أبـرارٌ أتقيـاء:** يتحرّكون في مواقع البِر، سـلاحهم التّقوى، وحصانتهم الخوف من الله تعالى، والخوف من المصـير، قد براهم الخوف هذا بَرْيَ السِّهام التي تُبرَى وتُنحَـت فتظهر ضـامرةً نحيفـة... بحيث ينظـر إليهم النّاظر فيحسبهم مرضى، وما بهم من مرض.

اسـتغرقوا في الله، وذابـوا فيه، وتطلّعـوا إلى محبّته ورحمته، حتّى أثّر ذلك على أجسامهم، حتى قيل عنهم: إنّهم خولطوا، أي أنّ خللاً حصل في عقولهم، فحين كان

يراهـم النّاس وهم في حالة تأمّـل وذوبان وذهول، فيما يتمثّل في نفوسـهم من عظمـة اللّه ومحبّته، يُخيَّل إليهم أنّ في عقولهم شـيئاً... الأمر ليس كذلك، لقد خالطهم أمـرٌ عظيـم، لم يُخالطهم فسـادٌ في عقـل، ولا خللٌ في شعور، ولكن ما خالطهم هو تصوّرهم وإحساسهم لمواقع العظمة للّه، فخشـعوا له، وشـغلهم ذلك عن النّظر فيما حولهم، وفيمن حولهم.

٢ ـ المتّقـون فـي تقصيـرٍ دائـمٍ مـع اللّه تعالـى: «**لا يرضـون مـن أعمالهم القليـل، ولا يستكثـرون الكثير، فهم لأنفسهم متّهِمون، ومن أعمالهم مشفِقون...**»

ـ إذا قامـوا ببعضـ الأعمـال القليلة، أي اقتصـروا علـى الفرائض مثلاً، فإنّهم يشـعرون بالتّقصـير وعدم الرّضـا، إذ عليهم أن يعملوا أكثر، وأن يؤكّدوا إخلاصهم وعبوديّتهـم للّه أكثر، يريدون أن تكـون حياتهم كلّها للّه تعالى.

ـ وإذا قامـوا بأعمـالٍ كثيـرة، فرائضَ ونوافـلَ ومسـتحبّات...، فإنّهم لا يرونها شـيئاً أمام حقّ اللّه في



نِعَمِه التي لا تُعدّ ولا تُحصى، خلافاً للّذين إذا ازدادوا بأعمالهم شعروا بالزهو تنتفخ به شخصيّاتهم، وقد ورد في بعض أحاديث الأئمّة عليهم السلام: «**لا تُخرجنَّ نفسَك من حدّ التقصير**». فمهما فعلت، أشعِرْ نفسك أنّك لا زلت مقصّراً في حقّ اللّه، لأنّ أعمالك لا تساوي نعمةً واحدةً من نِعَم اللّه تعالى عليك...

كلّ صلواتك وأدعيتك وأورادك... هل تساوي نعمة وجودك، أو نعمة البصر في عينيك، أو السّمع في أذنَيْك، أو النُّطق في لسانك، أو الحكمة في عقلك... فكيف واللّه يفيض عليك من نِعَمِه صباحاً ومساءً؟

فالمتّقون لا يستكثرون أعمالهم، فهم لأنفسهم متّهِمون بالتّقصير والتّسويف، وهم من أعمالهم مشفِقون، خائفون من اللّه...

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

٣ - المتّقون في تواضع مستمرّ مع اللّه والنّاس: «**إذا زُكّي أحدهم خاف ممّا يُقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري،**

وربّي أعلم بي من نفسي، اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون».

- إذا صادف أن قام أحدهم بعملٍ جيّدٍ فيه رضا للّه وللنّاس، وبدأ النّاس يمدحونه (أنت العظيم... أنت الخيِّر... أنت العالِم...)، في هذه الحالة يعيش حالة التواضع، وحالة الخوف ممّا يُقال له، وليقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، أنا أعلم بباطن نفسي، وربّما يختلف الباطن عن الظّاهر، ولا يعرف ذلك غير اللّه الذي أعلم بي من نفسي، لذا فهو يدعو: «**اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون**».

والإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق يركّز على حالة التوازن فيما لو حصل للإنسان عزٌّ ومجدٌ: «**اللّهم ولا ترفعني في النّاس درجةً إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحْدث لي عزّاً ظاهراً إلا أحدثتَ لي ذلّةً باطنةً عند نفسي بقَدَرِها**»، هذا هو تواضع المتّقين الذي به ترتفع النّفس الإنسانيّة، وتكبر، وتصفو وتسمو وتقترب من اللّه تعالى.



هؤلاء هم المتّقون الذين يحدّقون دائماً في أنفسهم، قبل أن يحدّقوا في الآخرين، إنّهم يُحاسِبون أنفسهم قبل أن يُحاسِبوا الآخرين، لأنّ هناك حساباً دقيقاً بين يدي ربّ العزّة، الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[النحل:١١١]، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[الانفطار:١٩].

من علامات شخصيّة المتّقين

«... فَمِن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّةً في دين، وحزماً في لين وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى[١]، وخشوعاً في عبادة، وتجمُّلاً في فاقة[٢]، وصبراً في شدّة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرّجاً عن طمع»[٣].

«يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يُمسي وهمّه الشّكر، ويُصبح وهمّه الذّكر، يبيت حذراً، ويُصبح

(١) قصداً: اقتصاداً.

(٢) تجملاً في فاقة: التظاهر باليسر عند الفقر.

(٣) تحرجاً عن طمع: تباعداً عن طمع.

فرِحاً، حَذِراً لما حُذّر من الغفلة، وفَرِحاً بما أصاب من الفضل والرّحمة، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يُعطها سُؤلها فيما تُحبُّ[1]**، قرّة عينه في ما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل»**.

١ ـ القوّة في الدّين: «**... أنّك ترى له قوّةً في دين**».

يُخيّل لبعض النّاس أنّ المؤمن التقيّ ضعيفٌ أمام الآخرين الذين يملكون القدرة على خداعه والعدوان على ما لديه، ولكن الواقع الإيماني يفرض عليه أن يكون القويّ في القول والفعل والموقف. لأنّ اللّه تعالى يريد له أن يكون قويّاً، وأن يتخلَّق بأخلاق ربّه الذي يملك كلّ أسباب القوّة ﴿**الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعا**﴾[البقرة:١٦٥].

والقوّة في الدّين التي يتسلّح بها الإنسان التقي، تختلف عن تلك التي يتعامل بها الشقي:

ـ الشقيّ يحرّك قوّته في خطّ الكفر والعدوان على الضعفاء (زوجته، أولاده، جيرانه، العاملين معه...)...

(١) إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشقّ عليها من الطّاعة عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة.



أمّا التقيّ فإنّه لا يُحرّك قوّته إلا بما يرضي اللّه تعالى، ولا يحرّك قوّته إلا في خطّ مسؤوليّته الشرعيّة والإنسانيّة.

-الشقيّ يحرّك قوّته في خطّ غريزته وشهوته وعصبيّته، فإذا ما امتلك سلاحاً أو سلطةً أو موقعاً متقدّماً... اندفع إلى استخدامها في ظلم الضعفاء بحيث يتحوّل وأمثاله إلى سباع ضارية تفترس كلّ القيم والعهود والمواثيق، بينما نلاحظ أنّ ظاهرة التّقوى تجعل الإنسان في مراقبةٍ دائمةٍ للّه تعالى، يخشاه، يمتثل لأوامره، ولا يخاف فيه لومةَ لائم، بحيث ينعكس ذلك أمناً وهدوءاً وطمأنينةً على كلّ من يحيط به.

٢ ـ الحزم في لين «... **وحزماً في لين**» المؤمن التقيّ إنسانٌ حازم دون قسوة، فإذا ما اتّخذ قراراً شرعياً، عقلياً، واعياً انطلق يدعو له، ويُدافع عنه، ويجسّده واقعاً وحركةً بأسلوبٍ حازمٍ حكيمٍ يجمع ما بين الحسم واللِّين، مُتّخذاً من مواقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأسوة الحسنة:

النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان قويّاً في دينه، حازماً في تبليغ رسالته، لا يتنازل عن مبدأ أساسيٍّ في دعوته، هذا كان



موقفه من المشــركين الذين طلبوا منــه أن يُهادنهم في عبادتهم لآلهتهم، ولا يتعرّض لأصنامهم:

«**والله يـا عـمّ (أبـو طالـب)... لـو وضعـوا الشّمـس بيمينـي، والقمـر بيسـاري علـى أن أتـرك هـذا الأمـر مـا فعلـت أو أهلـك دونـه**». وفي الوقت ذاتـه كان يطرح قناعاته وعقائده بأسـلوب حضاريّ، إنسانيٍّ هادئ وليّن وحكيم ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمـران:١٥٩].

إنّ اللّه تعالـى يريد للإنسـان التقيّ أن يكون صـاحب قرار، وأن يكون حازماً في تأكيد قراره... شرط أن يأخذ بأسـباب اللِّين، حتّى ينفتح النّاسـ على حزمه من موقع محبّتهم لهم.

٣ ـ اليقيـن في الإيمان: «... **وإيمانـاً في يقين**». ورد عـن الإمام علـي عليه السلام وهو يصـف طبيعة إيمانـه بربّه قوله: «**لو كُشِفَ لي الغطاء ما ازددت يقيناً**».

والإنسـان التقيّ هو المؤمن حقّاً، آمن باللّه تعالى عن وعي، وصـدَّق برسـوله عن عِلم، وآمن باليوم الآخر عن



يقين، وتبنّى كلّ مفردات الإيمان بمسؤولية.

إنّه من خلال نظره وتفكيره وثقافته استطاع أن يصل إلى مستوى من الوضوح في الرؤية والقناعة التي لا يساورها شكٌّ ولا يشوبها أيّ غموض، إنّه يتعامل مع ربّه كأنّه يراه، يعيش حضوره في كلّ حركاته ومواقفه، لذا فهو يعيش دائماً هاجس حلاله وحرامه.

٤ ـ العلم مع الحلم «... **وحرصاً على علم، وعلماً في حلم**». المؤمن التقيّ هو الذي يحرص على تحمّل المسؤوليّة في كلّ ما يؤمن به عن وعي، ويقرّره عن يقين وعلم، إنّه يحرّك الحرص في دائرة العلم، حتّى لا يكون هذا الحرص جهلاً وانحرافاً.

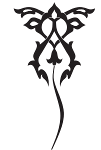
وحتّى تكتمل مكانة العلم وهيبته، يجب أن يُرافقه الحلم، فالعلماء هم الحُلماء الذين يعيشون الرّفق واللِّين والإنسانيّة مع من يتعاملون معهم، وبالأخص الجهلاء والمتعلّمين، إنّهم لا يعيشون انتفاخ الشخصيّة، ولا يتعقّدون من سؤال الجاهل، ولا يتعالون عن تعليمه، إنّهم المُتواضعون الذين يملكون العلم والانفتاح وسعة الصدر.

٥ ـ الاقتصـاد في الغنـى «... **وقصداً فـي غنى**». من صـفات المؤمن التقيّ هو الاقتصـاد في حال الغنى، فلا يستغلّ غِناه في الإسراف والتبذير: «**إنّ المُبذِّرين كانوا إخوان الشياطين**».

والسّـرف هـو أمـرٌ يبغضـه اللّه تعالـى، والاقتصـاد ليس مفروضـاً على الفقراء فقط، بل يمتدّ ليشـمل حياة الأغنياء، والاقتصـاد هو أن ترتّب مصـروفك من خلال مـواردك بمـا تحتاجه، وفيمـا تتحرّك فيه مسـؤوليّتك، فالمـال نعمة، وعليك أن تحرّك النعمـة في مواقعها، إذ لا يجوز لك أن تحرّكها في غير ما تحتاج إليه: ﴿**وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**﴾ [الإسراء : ٢٦].

وقد ورد في الحديث عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: «**إنّ القصـد أمرٌ يحبّه الله. والسرف** ـ في الوقت ذاته ـ **أمـرٌ يبغضـه الله، حتّـى طرحـك النـواة، وحتـى صبّك فضل شرابك...**»

فالإمـام عليه السلام يريد أن يبيّن لأبناء هـذه الأمّة: أنّكم تسـتطيعون جمـع النوى لزراعتـه أو تصـنيفه، بدلاً من



رميه دون فائدة... وأنّكم تستطيعون جمع ما فضل من الماء لاستغلاله وبالأخصّ التي تعيش مشكلةً مائيّة في نقصان الماء.

إنّ الإسراف أمرٌ لا يقول به دين، ولا يقبل به عقل... إنّه مرضٌ يعيش عقدتَه المُسرِفُ والمبذّر، حتّى الوسواسي الذي يسرِف في أحواله وتصرفاته، هو إنسانٌ مريضٌ ومعقّد نفسيّاً. جاء رجلٌ إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: إنّ فلاناً رجلٌ مُبتلى بالوضوء والصلاة، وله دين. قال عليه السلام: «**إنّه يعبد الشّيطان**... وقال: **سَلْه هذا الذي يأتيه من ماذا؟... إنّه سيقول لك: إنّه من الشّيطان**».

في هذا المجال على المؤمن التقيّ أن يتمتّع بصحّةٍ دينيّة، وصحّةٍ عقليّة أيضاً.

٦ ـ الخشوع في العبادة: «**... وخشوعاً في عبادة**». المؤمن التقيّ يعبد الله تعالى مُخلصاً له الدّين، فهو حين يُصلّي لا يردّد آياتٍ وأدعية وأذكاراً بلسانه فقط، ولا يقوم بحركات من قيامٍ و ركوع و سجود فقط أيضاً، بل هو يعيش المعاني في عقله ووجدانه وكلِّ حركاته،

يعيش الخضوع والخشوع والإسلام للّه تعالى.

المؤمن التقيّ هو من يعيش حضـور اللّه تعالى الدّائم بعكس الكثير منّا، بحيث نجده بمجرّد أن يدخل فريضـةً بقول: «**اللّه أكبر**»، يسرح بخياله ليقوم بجولةٍ حول العالم شرقاً وغرباً، يستعرض فيها حاجاته ورغباته وطموحاته بحيث لا يسـتيقظ من غفلته هذه إلا حين يجد نفسه في موقع التسليم «**السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته**».

التقيّ المؤمن هو من يسـتعدّ للصّـلاة بعقله ووجدانه وإحساسـه، بحيث يكون مع اللّه في كلّ اللّحظات خاشعاً خاضـعاً ذليلاً مُستسـلماً داعياً راجياً خائفاً منيباً مُقِرّاً مستغفراً تائباً.

أحـد الأئمة عليهم السلام كان في حال الوضـوء، وهو مقدّمة الصّـلاة، يرتجف ويقول: «**أتدرون بين يـدي من أقف، أنا واقف أمام ربّ العزّة، ربّ العالمين**».

٧ـ العـزّة في حال الفقر، والصّـبر في حال الشـدّة: «**... وتجمّـلاً في فاقة، وصبراً في شدّة**». المؤمن التقيّ

هو إنسانٌ عزيزُ النّفس، يرفض أن يذلّ نفسه، مهما تعرّض لظروفٍ حياتيّة قاسية، أن يتظاهر باليسر في حال الفاقة، ويتجنّب حالة المَسكَنة، يعبِّر عن أمثاله القرآنُ الكريم. ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة : ٢٧٣].

إنّه لا يظهر حاجته لعزّةٍ في نفسه وكرامةٍ لشخصه، وهو مع ذلك قويٌّ في أوقات الشدّة، لا يجزع ولا ينهار، بل يثبت ويصبر، ويتوكّل على الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان : ١٧].

٨ ـ الطّلب في الحلال والنشاط في الهدى: «... **وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرّجاً عن طمع**».

المؤمن التقيّ هو من يعمل لطلب الرّزق الحلال، وينشط في الدّعوة إلى الهدى، ويمنع نفسه من المعصية إذا لم تُقبل على المشقّة في الطاعة.

إنّ الله تعالى يكره العبد النوّام البطّال الفارغ،

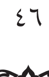


يريدنـا الله أن نعمل ونعمُر الأرض، ونحصـل على المال في الطُّرق المشـروعة، طُرق الحـلال: في حديثٍ نبوي: «**العبـادة عشـرة أجـزاء (وقيل سبعـون جـزءاً) أفضلها طلب الحلال**».

وطلب الحلال يتطلّب نشـاطاً وحيويّةً في خطّ الهدى، وخـطّ الطاعـة، وخـطّ القناعـة البعيـدة عـن الأطماع والأهواء التافهة.

مـع المتّقين فـي مراقبتهـم للّه تعالى: فـي الحديث عـن شخصـيّة المتّقين يعتبـر الإمـام عليه السلام أن التّقوى هي الصّـفة التي تختصر كلّ عناصـر شخصيّة الإنسان في الإسـلام، ولا تقتصـر التّقوى بـأداء العبادات و فعل الطاعات وتـرك المحرّمات فقـط، بل أن يكون إنسـاناً رسـاليّاً يعيش مع نفسه ليُكسِبَها ما استطاع من الكمال، ومـع النّاس ليكون عنصـر خيرٍ ينفتح علـى آلام النّاس وقضـاياهم، يعالج مشاكلهم، يعفو عن مسيئهم، يحسن إلى ضعيفهم، ويكرّس كلّ طاقاته لخدمتهم.

فـي نظـر الإمام علـيّ عليه السلام أن تكون تقيّـاً، أن تجمع



الإسلام في عقلك وقلبك وكلّ حياتك... كيف؟.

١ ـ في المساء شكر، وفي الصباح ذكر: «... **يُمسي وهمّه الشّكر، ويصبح وهمّه الذِّكر**» في المساء، وبعد نهارٍ طويل، يجلس المؤمن التقيّ مع نفسه، ليستعرض ما حصل له، وما أفاء عليه اللّه تعالى من نِعَم، ما أعطاه من صحّة وعافية، وما هيّأ له من فرص العمل والرّزق، وما يَسّر له من سعادةٍ وفرح، وما صرف عنه من بلاءٍ وحُزن. إنّه يشعر أنّ كلّ نِعم اللّه قد تجمّعت لديه خلال هذا النّهار، فكيف يجب أن يستقبل هذه النِّعم؟.

إنّ أدنى ما يفعله هو أن يعيش همَّ الشّكر، فيردّد كلمات الشّكر بلسانه، ويترجمها طاعةً بفعله، فلا يقدّم رِجْلاً ولا يؤخّر أخرى إلا ويعلم أنّ للّه فيها رضا، ويعبّر الإمام علي عليه السلام عن طبيعة هذا الشّكر فيقول: «**أقلّ ما يلزمكم للّه، أن لا تستعينوا بنِعَمِه على معاصيه**» شكر النعمة يكون بأن لا توجّه ما أَنعم اللّه عليك فيما لا يرضاه من الفعل، ويشرح الإمام عليه السلام ذلك بقوله: «**لا تجعل ذرب لسانك على من أنطقك**». إنسان علّمك

الـكلام، لا تجعل لســانك يتحدّث عنه بســوء، فهو الذي أنعم عليك بنعمة الكلام هذه، ومن باب الشــكر أن تكفّ لسانك عنه، وفي هذا يقول الشاعر:

وكـــم عـلّـمـتـه نـظـم الـقـوافـي
فـلـمّـا قـال قـافـيـة هـجـانـي

وهذه هي مشكلة عليّ عليه السلام مع من علّمهم الكثير، فمّا أن أتقنوا ذلك انطلقوا إلى اســتخدام ما تعلّموه في حربه والتجنّي عليه... إنّ هذا الفعل يعبّر عن عقدةٍ نفسيّة، فهل من المعقول أن يملأ إنسانٌ عقلك بالعلم، وقلبك بالمحبة، وحياتك بالخير... ثم تأتي أنت لتقابله بنكران الجميل.

أمّـا في النّهـار فيصـبح المتّقي وهمّـه الذّكـر. يأتي الصّـباح، فيسـتيقظ من نومه بعد أن كان ميتـاً مع وقف التنفيذ. ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «**إنّكم تموتون كما تنامون**».

فإذا أردت أن تعرف تجربة الموت، جرِّب النّوم، لذلك نجد الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الأربعاء يشــكر اللّه تعالــى على يقظته من النّوم الــذي هو بمثابة الموت المؤقّت أي إلى أجلٍ محدّد:



«لك الحمد أن بعثتني من مرقدي، ولو شئت جعلته سرمداً».

وفي النهار أيضاً يستيقظ المتّقي فيتطلّع إلى الشّمس، فيعرف عظمة اللّه تعالى بأن جعل النّهار مبصراً، ينظر الإنسان من خلالها إلى آفاق خلق اللّه، ليعيش عظمته، فيبادر إلى شكره وحَمْدِه وذِكرِه في عقله وقلبه ولسانه وموقفه وحياته... وهذا هو الذي نعيشه في اليقظة، ولا نكون كما يشير القول: **«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»**.

٢ ـ الحذر من الغفلة والفرح بالرّحمة: **«... يبيت حذراً، ويُصبح فَرِحاً، حذراً لما حُذّر من الغفلة، وفَرِحاً بما أصاب به الفضل والرّحمة»**.

ـ **«يبيت حذراً...»** لأنّ الموت أمام عينيه يهدّده في كلّ لحظة.

ـ **«ويصبح فَرِحاً...»** لأنّ اللّه أعطاه الحياة بعد أن كان معرّضاً في نومه للموت.

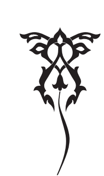
ـ **«حذراً لما حُذّر من الغفلة...»** أن يعيش الحذر من



تدخّل الشّيطان ليسيطر على عقله، فيغلقه، أو يسيطر على قلبه ليغلقه أيضاً، أو يسيطر على حياته فيحيط بها... والمتّقي إنسانٌ غير معصوم، عليه أن يعيش الحذر من الغفلة، التي قد يستغلها الشّيطان الذي هو قائمٌ بالمرصاد وبالأخص لمن يعتمد مساره الصراط المستقيم: «قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

المتّقي إنسانٌ يعيش حالة الحذر، ليحصّن نفسه بذكر الله، ومحاسبة النّفس ليحذر من الشّيطان الرّجيم. إنّه الإنسان القادر اليقظ الذي يحسب ألف حسابٍ ليبقى بمنأى عن وسوسة الشّيطان وسلطانه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

- «**وفَرِحاً بما أصاب من الفضل والرّحمة**» أن يعيش الإنسان التقيّ الفرح بما أصاب من الفضل والرّحمة، بفعل حذره من الغفلة، وتحصين نفسه بالذّكر، فعندما تأتيه



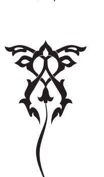
رحمة اللّه وألطافه فإنّه يعيش الفرح الروحي: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران:١٧٠].

٣ ـ مجاهدة النّفس، والغاية الجنّة: «... **إن استصعبت عليه نفسُه فيما تكره، لم يعطها سُؤْلها فيما تحب، قرّة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى**».

ـ الإنسان التقيّ يعيش حالة طوارئ مع رغبات نفسه، إنّه يجاهدها بكلّ وعيٍ وحكمةٍ وحزم، فإذا طلب من نفسه أن تطيع اللّه، وتأتي بالفرائض، وتترك المحرّمات، وتدفع حقوق اللّه تعالى... فإذا رفضت أو تقاعست عن العمل، بادر المُتّقي إلى عقابها بحرمانها مما تحبّ وترغب، إنّه يمنع نفسه من أن تستسلم لهواها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠ـ٤١].

ـ الإنسان المتّقي يعتبر أنّ قرّة عينه فيما لا يزول، الجنّة وهي تعبّر عن رضوان اللّه تعالى وثوابه ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦].



أمّــا زهده فهو فيما يزول، أي فيما لا يبقى من الدّنيا، إنّه يأخذ منها ما يحتاجه، ولا يعطيها كلّ ما تريده.

٤ ـ العلــم والحلم ـ القول والفعــل: «... **يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل**».

ـ الإنسان المُتّقي يحبّ طلب العلم، ويُربّي نفسه على أن يكــون المُثقّف المتعلِّـم الذي يتعلَّـم كلّ ما يدخل في مســؤوليّته تجاه ربّه، وتجاه مجتمعه، وفي مسؤوليّته عن الحياة في نموّها وحركيّتها وقوّتها.

إنّ الله تعالــى أراد للمؤمن أن يكــون العارف بزمانه، والعارف بمسؤوليّاته، وقد هيّأ له كلّ سُبل المعرفة ﴿**عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق:٥].

واعتبــر العلم قيمــةً يتفاضــل النّاس فيهــا: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٩].

والإمام عليّ عليه السلام يؤكّد ذلك فيقول: «**قيمة كلّ امرئ ما يحسنه**».

والإســلام جعل طلــب العلم فريضــةً على كلّ مســلم



ومسـلمة، والإنسـان التقيّ هو الذي يقـرأ كتاب الحياة، ويتعلّـم من تجارب الحياة، إنّه يظلّ في حركة علم دائم، يواكب كلّ جديد، ويستفيد من كلّ خبرة.

- وقيمة العلم أنّه يوسّع أفق العالِم وبالتالي صدره، لأنّ العالم يطوف بفكره آفاق العلم، ويواجه أعقد المشكلات، فلا بدّ من أن يكون عقله واسـعاً، ليكون صـدره واسـعاً، ليكون بذلك حليماً، ومن الطبيعيّ إذن أن يمزج الإنسان التقيّ الحلم بالعلم، فمن يجعل نفسه في مواقع العلم، لا يضيق صدره بأسـئلة النّاس وتعقيداتهم وأمزجتهم، إنّه يفهم مَنْ حوله، ويعرف نقاط ضـعفهم، لذا فهو الحليم الذي يحبّ الجميع، ويحتضـن الجميـع، ويعالج مختلف انفعـالات الآخرين، إنّه يتخلّق بذلـك بأخلاق اللّه تعالى الذي أطلق على نفسه صفة الحليم، وهو يقتدي بالأنبياء والأئمّـة الذين كانوا يمتصّـون كلّ نتائج الأذى والعدوان مـن المكذّبين والمنافقين، فلا يضـيقون ذرعاً بما كان يُوجَّـه إليهم من شـتائمَ وافتراءاتٍ من أجل أن يُشـوِّهوا صورتهم، ويُخفّفوا من فعاليّاتهم.

العالِم لا بدّ أن يكون حليماً، ومن لا يملك هذه الصّفة

عليه أن يعيد النّظر في كمال علمه.

- والإنسان التقيّ يمزج القول بالفعل: أي الذي يقول ويحوّل قوله إلى فعل، إنّه يحترم كلمته ويحوّلها إلى واقع، ويحترم إيمانه ويجسّد إيمانه في شخصيّته، ويحترم مبادئه، ويحرّك مبادئه في خطواته، ويحترم أخلاقيّته، ويترجم أخلاقه في سلوكه... إنّ رسول اللّه ﷺ هو الأسوة الحسنة بالنسبة إليه، وكذلك الأئمّة المعصومون الهُداة، فأقوالهم كأفعالهم سنّةٌ بالنسبة لجميع المسلمين، لذا نستمع إلى الآية: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر:٧].

ويعبّر الرسول ﷺ عن واقع ترجمة القول إلى فعلٍ و واقع بقوله وهو يشير إلى القرآن الكريم: «**هذا القرآن الصّامت، وأنا القرآن الناطق**».

واللّه تعالى حدّثنا في كتابه المجيد عن أهميّة المساحة بين القول والعمل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف:٢-٣].

من صفات المتّقين وأفعالهم

يتابع الإمــام علي عليه السلام حديثه عــن الإنســان التّقي، الإنســان الذي ينفتــح على الله تعالى مــن خلال المعرفة الواعية التي تتحوّل إلى إخلاص في العبوديّة، وإلى حركة فــي الطّاعــة، وإلى انفتاح على الإنســان الآخــر، ليمارس مســؤوليّته تجاهه، فيعطيه من علمه علماً، ومن قلبه حبّاً، ومن طاقته عوناً، ومن هدايته رُشداً. الإنسان التقيّ الذي يقتحم الحياة من أجل أن يحرّك كلّ طاقاته في كلّ واقع.

الإنسان كلّ الإنسان، الإنسان الذي...

«... تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبُه، قانعة نفسُــه، منذوراً أكلُه[١]، سهلاً أمرُه، حريزاً[٢] دينُه، ميّتةً شهوتُه، مكظوماً غيظُه، الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون. إن كان في الغافلين كُتب في الذّاكرين، وإن كان في الذّاكرين لم يُكتب في الغافلين، يعفو عمّن ظَلَمَه، ويُعطي مــن حرمه، ويصل من قطعه. بعيداً فحشُه[٣]،

(١) منذوراً: قليلاً.
(٢) حريزاً: حصيناً.
(٣) الفحش: القبيح من القول.



ليّناً قولُه، غائباً منكرُه، حاضراً معروفُه، مُقبلاً خيرُه، مُدبِراً شرُّه، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور».

١ـ «**قريباً أملُه**»: الإنسان التقي لا يعيش طول الأمل، ومن يستسلم لأمنيات طول الأمل، لا ينطلق من وعي لطبيعة الحياة، فالحياة، فيما قدّر الله لها من عمر، لا تملك ضابطة في صحّة أو عافية أو أمن... فالصحيح قد يموت، والمريض قد يمتدّ به العمر... والآمن قد يموت، والخائف قد يمتدّ به العمر، ولذلك فالإنسان يعيش في الحياة وهو ينتظر الموت بكلّ لحظة، وهذا ما عبّر عنه الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إذا نُعي إليه الميت، أو ذكر أمامه الموت: «**اللهم اكفنا طول الأمل، وقصّره عنا بصدق العمل، حتى لا نُؤمّل استتمام ساعة بعد ساعة، ولا اتصال نَفَس بنفس، ولا لحوق قَدَم بقدم...**» وهو أيضاً ما تخوّف منه الإمام علي عليه السلام: «**إنّ أَخْوَفَ ما أخاف عليكم اثنان: الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيصدّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة**». إنّ



كثيـراً من النـاس، ممن يستسـلمون لامتـداد الحياة، قد ينســون الآخرة، إذ لا يتصوّرون حصول الموت، والبعث، والحساب، والجزاء...

٢ ـ «**قليـلاً زلله، خاشعاً قلبه...**»: والإنســان التقي هــو العارف الواعــي الحذر، الــذي يفكر طويــلاً في كل خطوة يعتمدها، فلا يُقدم أو يحجم إلا بعد أن يتأكّد من الإيجاب أو السلب، لذلك هو يتجاوز مواقع الخطأ، ويثبت في مواقع الصواب، ممّا يقلّل أخطاءه، ويسدّد خطواته.

ـ والإنســان التقيّ وهو يمارس مسؤوليّاته بعلمٍ ووعيٍ وحكمةٍ وحذر، تراه دائماً يتطلّع إلى رضـا الله سـبحانه وتعالــى، ويستحضـر عظمتـه، فيشـجّع قلبـه، وترتعـد فرائصه حينما يُقبل عليه في صلاته ودعائه.

٣ ـ **قانعـة نفسـه، منـزوراً** (قليـلاً) **أكله**: والإنســان التقــيّ يتجمّـل بالقناعــة الإيجابية، فهــو إنســانٌ كريمٌ عزيــز، لا يمــدّ عينيه إلى مــا متّع الله به غيــره، ولا يمدّ نظره إلى ما في أيدي الناس، فهو يحاول أن يملك نفســه بأن يحــرّك حاجاته في مدى قدراتــه وإمكاناته، ثم اذا



أراد أن يستزيد من حاجته زاد في إمكاناته وقدراته، ولا يطمع بما في أيدي النّاس، فالطّمع ـ كما قال الإمام علي عليه السلام ـ **هو ميثاق الذلّ والقناعة هي ميثاق العز...**

ـ والقناعة ـ هنا ـ تنسحب على إقباله على الطعام والشراب، فهو يأكل ما يحتاجه، وما يسدّ به جوعه، وما يتيسر له.

٤ ـ «**سهلاً أمره، حريزاً دينه**»: الإنسان التقيّ هو إنسان عفوي يعيش البساطة في علاقاته مع الناس، فيتحرّك معهم بسهولةٍ ويُسر، وينفتح على قضاياهم بمرونةٍ وحكمة، ويبادر إلى مساعدتهم بحماسٍ ورغبة...

ـ والإنسان التقيّ يعتبر الدّين من أولويّات اهتماماته، فيعمل على تغذيته بالعلم، وعلى تحصينه بالتقوى، حتّى لا يَدَعُ مجالاً لأيٍّ من شياطين الإنس والجن من اختراق هذا الحصن، سواء بتزيين الرّغبات أو إثارة الغرائز.

٥ ـ «**ميّتة شهوته، مكظوماً غيظه**»: والإنسان التقيّ هو إنسانٌ متوازنٌ يتعامل مع غرائزه وشهواته بعقلانية،



بحيث لا يجعلها تسـيطر على كلّ عالمه، فتُسقط له دينه ونفسـه واحترامـه فـي نفوس النـاس. إنّ اللّه سـبحانه وتعالى لا يريد من الإنسـان أن يُصـادر شهوته، فيميتها ويكبتهـا في رهبانيّـة غير مطلوبة، ما هـو مقبول هو أن يأخذ بشـهواته في الطّرق المشـروعة التي رسـمها اللّه تعالى، وما يعنيه التعبير «**ميّتة شهوته**» هو عدم سيطرة الشّـهوة بحيث تنسـيه واجباته والتزاماته، وتساهم في انحلاله وانحرافه، وفقد الثّقة والاحترام في أوساطه.

- والإنسان التقيّ هو إنسـانٌ مُتماسكٌ، غير انفعالي، يملك نفسـه عند الغضب، إنّه لا يترك الحريّة لغيظه من أن يتفجّر بعشـوائيّة ودون ضـوابط أخلاقيّة، إنّه يحاول أن يضـبطه ويوجهه في الاتّجاه الذي يرضي اللّه تعالى. ومن يحاول أن يسيطر على غضبه، ويحبس غيظه إلا في المواطن الذي يريدها اللّه... هو إنسـانٌ تقي لا يفكّر إلا بالجنّة التي وعـده اللّه بها: ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّـرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْـظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣ـ ١٣٤].



٦ ـ «**الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون**»: ... المؤمن التقيّ هو الذي يستمع إلى تعاليم اللّه «**افعلوا الخير**» فيبادر إلى توظيف كلّ ما أعطاه اللّه تعالى من قوّة ومال وجاه وموقع... في مجال الخير والعطاء، لتكون حياة النّاس كلّها خيراً وحقّاً وسعادة، **فالخير منه مأمول**،هذا هو همّه وهاجسه وما يريده ويرغبه، **والشرّ منه مأمون**، إنّه إنسانٌ يعيش التقوى، يعيش الخوف من اللّه، فيمتثل لما يُؤمَر به من خير، ويرفض عمّا يُنهى عنه من شرّ، لذلك نجد النّاس يُقبلون على التعامل معه. لأنّهم يعيشون معه الأمن على مصالحهم وأعمالهم.

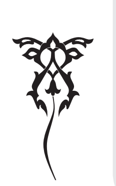
٧ ـ التقيّ بين الغفلة والذِّكر: «**إن كان في الغافلين كُتب في الذّاكرين**»: الإنسان التقيّ إذا عاش في مجتمعٍ غافلٍ عن ربّه فهو لا يتفاعل معه، ولا ينسجم مع غفلته، إنّه يعيش اليقظة مع ربّه، يذكره في عقله وقلبه ولسانه ومواقفه، وذكر اللّه لديه هو أن يكون اللّه في كلّ كيانه يحبّه، يُراقبه، يخافه، يعيش حضوره الدائم، صحيح أنّه لا يراه بعين البصر، ولكن يراه بعين القلب.



لـذا، فإنّ المؤمـن وهو يعيش في خضـمّ الحياة، فإنّه لا يعيش الغفلة الاجتماعيّة التي قد تُهيمن عليه، فتُنسيه بعض واجباته الروحيّة، إنّه يبقى دائماً في ذكر الله تعالى، مُحبّاً له، مُراقباً له، خائفاً منه، متطلّعاً إلى رحمته.

- «**وإن كان من الذّاكرين لم يُكتَب في الغافلين**»: أما إذا عاش في مجتمع الذّاكرين، فإنّ قلبه لا يغفل عن ربّه حتّى في أجواء العبادة والذّكر، إنّه دائماً وأبداً مع الله سبحانه وتعالى.

٨ - «**يعفو عمّن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه**»: المؤمن التقيّ يعيش الحبّ والحلم والعفو والرّحمة والإيثار، يُحب لأخيه ما يحبّه لنفسه، ويكره له ما يكره لها... إنّه إنسانٌ مُتوازن لا يعيش في وجدانه روح الثأر، ومقابل المِثل بالمِثل... بل يتّسع قلبه لكلّ من يختلف معهم حتى الظالمين، لا يتعقّد من أحد، بل يعفو عن كلّ أحد، لأن الله تعالى حبّب له ذلك، إنّه يدرأ بالحسنة السيئة، وهو يعفو عن الذي اعتدى عليه، مع أنّ له الحقّ الشرعيّ في ردّ العدوان بمثله، وذلك امتثالاً لتوجيه الله



تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة:٢٣٧].

المؤمن التقيّ هو الإنسان المحبّ وليس الحاقد، وهو الإنسان الغفور وليس الذي يعيش روح الانتقام، إنّه من المتّقين الذين وصفهم القرآن الكريم بـ ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وهم من المحسنين الذين يحبّهم الله ويغفر لهم.

- والإنسان التقيّ هو الذي يعطي مَنْ حرمه أيضاً، فأخلاقه تتّصف بالأصالة والنُبل، إنّه لا يعيش الأخلاق التجاريّة، كالكثير مِنَ النّاس الذين يُعطون مَنْ أعطاهم، ويحرمون من حرمهم، عطاءً مقابل عطاء، وحرماناً مقابل حرمان.

الإنسان التقيّ يسمو بأخلاقه، ويرتفع بقِيَمه، إنّه يعطي بعفويّة من خلال أصالة روحيّة العطاء المتجذّرة في نفسه، إنّه يعمل لله، وينفق قربةً لله، وتحبّباً إلى الله الذي يحبّ العطاء.

- والإنسان التقيّ هو الذي يصل مَنْ قطعه، يتواصل مع الجميع، وبالأخصّ أرحامه وجيرانه، حتّى مَنْ آذاه،



وقاطعه... إنّ الأخلاق في الإسـلام ليست عمليّة مبادلة في بيع مالٍ بمال أو غيره، بل هي تنطلق من العقل والقلب كما ينطلق الماء من الينبوع ليروي الأرض سواء المجدبة منهـا أو الخصـبة، وهذا المعنى هو ما أكّده رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بقولـه: «**ألاَ أعرّفكم بمكارم الأخلاق: أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك**».

٩ ـ «**بعيـداً فُحشُـه، ليّنـاً قولـه**»: والفحش هو القبيح من الكلام. الإنسان التقيّ لا يتفوّه بالكلام البذيء الذي يخجل منه هو، والذي يسـيء إلى سـامعه، فاللّه تعالى لا يحب الفحّاش البذيء، ورد عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**إن الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيء اللّسان، قليل الحياء، لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له**».

ـ الإنسـان التقيّ يتكلّم بهدوء كلاماً ليّناً يرقّق القلب، وينفتح بكلّ محبّة على الآخر، وهذا اللّين هو ما مدح به اللّه تعالى نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمران: ١٥٩]

١٠ ـ «**غائبـاً منكره، حاضـراً معروفه، مُقبلاً خيره،**

مُدبـراً شرّه»: الإنســان التقيّ يأمر بالمعروف ويعمل به، وينهى عن المنكر ويرفضه، لا يحضر المنكر في علاقاته مع النّاس، وإذا حضر معهم، حضر معروفه معه.

- «**مُقبـلاً خيره**»... حياته خير، إذا أقبل على النّاس فإنّ خيره يسير أمامه.

- «**مُدْبِراً شرّه**»... إنّه يتجاوز الشر، بل يُحاربه ليطهّر المجتمع من أدرانه، فالشرّ مدبرٌ لديه، لأنّه لا يأخذ منه بشيء.

«**في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور**»، إذا أحاطت به التحديات والضـغوط والمكاره، فإنّه يواجهها بحكمة، فلا خوفٌ ولا جزعٌ ولا قلقٌ... لا يخرج عن طوره وتوازنه. يبقى على وقاره، ويحتفظ بتماسـكه، ويتسـلّح بصـبره، ليلجأ إلى ربّه مُستمِّداً منه القوّة والثّقة.

- «**وفي الرّخاء شكور**»... إذا أقبلت الدّنيا عليه، فعاش في رفاهية وراحة واسترخاء، فإنّه يتواضع لربّه، فيشكره ولا ينسى فائض نعمه عليه.



من أخلاق المتّقين ومواقفهم

«... لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه، لا يُضيِّع ما استُحفظ، ولا ينسى ما ذُكِّر، ولا ينابز بالألقاب، ولا يُضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق، إن صمت لم يغمّه صمته، وإن ضحك لم يعلُ صوته، وإن بُغي عليه صبر حتّى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والنّاس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح النّاس من نفسه، بُعدُه عمّن تباعد عنه زهدٌ ونزاهة، ودنوّه ممّن دنا منه ليّن ورحمة، ليس تباعده بكِبْر وعظمة، ولا دنوّه بمكر وخديعة».

١ ـ العدل في المشاعر والأحاسيس: «**لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب...**»... إذا صادف أن أبغض أحداً، وكلّ واحد قد يكون لديه هذا الشعور، فإنّه لا يجور، ولا يظلم، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

إنّه إنسانٌ يتجاوز ذاته، ولا يستسلم لهواه، فيعطي كلّ

ذي حقّ حقّه، مهما كانت علاقته سـلبيّة بالآخر، وهو في الوقت ذاته:

- «**لا يأثم فيمن يحب**»... فإذا صـادف أن أحبَّ أحداً، سواء كان هذا الحب عاطفياً أو سياسياً أو دينياً أو اجتماعياً، فإنه لا يسـرف في محبتـه، إذ يقف عند ما يسـتحقّه من الحـب، فـلا يرفع من قدره إلى المسـتوى الـذي يخدع به النّاس... وهذا هو الذي يمنعنا من عبادة الشخصيّة، فنحن في الشّرق عاطفيّون، نتّجه في أهوائنا نحو الصنمية، فإذا نجح أحدهم بنسبة ١٠٪ فإنّنا نرفعه إلى مستوى ٩٠٪، وهذا ما حذّرنا منه رسول الله ﷺ في حديثه عن سلوك المؤمن التقي: «**إنمـا المؤمن الذي إذا رضي لم يُدخِله رضاه في إثـم، وإذا غضـب لم يُخرجه غضبه عن قـول الحق، وإذا قدر لم يتعاطَ ما ليس له بحق**».

إنّه إنسـانٌ يعيشـ حالة التوازن، فـلا يتكلّم بالباطل، ولا يعطي الآخر صفات غير موجودة فيه، يبقى دائماً مع مبادئه العادلة في حال الحبّ أو البغض، في حال القدرة أو الضعف.



لنكـن العادليـن مع مَنْ نحـبّ فلا نعطيهـم أكثر مما يسـتحقّون، والعادليـن مع مـن لا نحبّ فـلا نمنعهم ما يسـتحقّونه من قولٍ أو فعل، وهذه هي مشكلة عليّ عليه السلام، مشكلته أنّه كان لا يحابي أحداً في الحق، كان العادل مع ربّه ونفسـه وكلّ النّاس، لم يكن له شـأن إلا باللّه تعالى، لأنّه باع نفسه للّه، وللّه فقط، وكان يقول لأصحابه:

«**ليس أمري وأمركم واحداً، إنّني أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم**».

وكان يقول: «**ما ترك لي الحقّ من صديق**».

أمّـا نحن فإنّ البعض منّا يحبّ أن يصـنع الأصـدقاء بإنكار الحق، واتِّباعِ الباطل ليرضى النّاس عنا، لأنّ قول الحقّ وفعله مرٌّ مطعَمُه، ولكنّ علياً عليه السلام جُبل على الحق، فهو مع الحق، والحقّ مع علي، يدور معه حيثما دار.

٢ ـ الجـرأة في قول الحـق: «**يعترف بالحقّ قبل أن يُشهد عليه...**» وإذا كان الإنسـان عليه الحقّ في مالٍ أو غيـره، فلا يحتـاج الآخر لأن يقيم دعـوى عليه، ويجري محاكمـة، ويسـتعين بشـهودٍ من الخارج، ليحصـل على

حقّـه، المؤمن التقيّ هو الذي يبـادر إلى الاعتراف بحقّ الآخر، فيكون هو الشّـاهد علـى الحق، وهذا هو التوجيه القرآنـي الرائع: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُـواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ...﴾ [النساء:١٣٥].

الإنســان التقيّ هو إنسانٌ عادل، لا يدّعي على شخصٍ بغير الحق، ولا ينكر الحقّ لصاحبه، بحيث لا يحتاج هذا إلى أن يُقيم دعوى ويأتي بالشهود.

المؤسف أنّ التربية التي ينشأ عليها الكثيرون من النّاس أنّهم إذا استطاعوا أن يأكلوا أموال النّاس بدون حق، فلا يقصّــرون، وبالأخص مع أولئك الذين لا يملكون وثيقةً أو مســتنداً أو شــهوداً، فكثيرٌ من الدعاوى الباطلة تُرفع من قبل محامين، يسـتغلون القضــاء بفعل ضياع المستندات أو مـوت الشّـهود أو غير ذلـك، والله تعالـى يحذّرنا من ذلك فيقول: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾ [البقرة:١٨٨].

المؤمـن هو من يلتزم التّقـوى، ومن يملك الورع الذي يحجزه عن محـارم الله، فيعترف بالحقّ قبل أن يُشـهد



عليه، إنّه يسارع إلى قول هذا الحقّ من تلقاء نفسه.

٣ـ الأمانــة فــي الأداء: «... **لا يضيّـع مـا استُحفظ، ولا ينسـى ما ذُكّر**». إذا صــادف أن أمّنــه أحدهم أمانةً ليحفظهــا، ســواء كانــت مــالاً، أو عرضــاً، أو ســرّاً، أو ظيفــةً... عليه أن يحفظها، امتثــالاً لأمر اللّه تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ [النساء:٥٨]. فإذا اســتحفظك إنسانٌ بســرّ، وقال لك: أنت صاحبي، وهذا ســرّ عميقٌ لــدي، أرجو أن تحفــظ هذا الســرّ، ولا تطلع عليه أحداً... وقد تمرّ الأيّام والليالي، وتحصــل مع هذا الإنسان مشكلة، وتتحوّل الصداقة إلى عداوة، فما عليك إلا أن تحتفظ بهذا الســرّ، ولا تســتغلّه لتشــوّه سمعته، أو لتدمّر علاقاته مع الآخرين، أمثال هذه المواقف الطارئة والمفاجئة، يحذّرنا الشّاعر منها بالقول:

إحـــــــذر عـــــــــدوك مــــــرّةً
واحــــــذر صـــديـقــك ألـــــف مـــرّه
فــلــربــمـــا انــقــلــب الــصَّـــديـ
ـــقُ فــكـــان أعـــــرف بـــالــمــضـــرّه



وفي حديثٍ للإمام جعفر الصـادق عليه السلام: «**أقرب ما يكـون الرّجل من الكفـر، أن يؤاخي الرجـلُ الرجلَ على الدين، ليحصي عليه زلّاته، ليعيّره بها أو ليعنّفه**».

وبالنسـبة لوديعة الأموال، فعليـك أن تكون أميناً عليها فيمـا لو ائتمنك عليها أحدهم، وقـد أكّد على ذلك الإمام زيـن العابدين عليه السلام بالقـول: «**لـو ائتمنني ضـارب عليٍّ بالسيف الذي قتله به، وقبلته منه، لأدّيت إليه أمانته**».

«**أدّوا الأمانـة إلـى مـن ائتمنكم عليها ولـو إلى قاتل وُلد الأنبياء...**»

ثمّ على الإنسان أن يكون في كلّ أقواله ومواقفه أميناً، مستحضراً حضور الله تعالى، بالصّلاة والدّعاء والذكر، فيفتـح قلبه لله تعالى، فما إن يحاول الشـيطان أن ينزغ في نفسه بعض الهوى، فعليه أن يبادر إلى ذكر الله، لأنّ الذكرى تنفع المؤمنين.

﴿**وَإِمَّـا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِـذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [فصلت: ٣٦]



﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨]

٤ ـ من الأخلاق الاجتماعيّة: يُعالج هذا النصّ بعض مفردات الأخلاق الاجتماعيّة التي تنظّم علاقات الإنسان مع إخوانه الآخرين.

أ ـ «**ولا يُنابز بالألقاب...**» أي لا يدعو غيره باللّقب الذي يكرهه، يشمئز منه. وفيه نقرأ أمر اللّه تعالى في سورة الحجرات: ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١١].

بعض النّاس ينادون بعضهم بالألقاب التي تثير الذم، أو التي تهتك الحرمة، وهو ممّا ترفضه الآية الكريمة، لأنّه يؤذي النّاس، ويُسيء إليهم، ويضغط على مشاعرهم وكرامتهم في المجتمع، فالسّخرية بالنّاس، وذِكرهُم بما يسيء إليهم يُوجب من يصفهم بذلك بإطلاق صفة الفسق التي لا تتناسب مع صفة الإيمان، لذلك من المستغرب كيف يستبدل الإنسان المؤمن صفة الإيمان بصفة الفسق.

ب ـ «**ولا يُضارَّ بالجار...**»: والجار هو الذي يسكن في الحيّ الذي نسكنه، والمؤمن التقيّ هو الذي يحفظ جاره. ولا



يرى منه جارُه أيّ أذىً أو ضرر. وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ شكا له بعض الناس من جاره، وقال له: استعملت كلّ الطرق لأكفّ ضرره عنّي ولكن دون فائدة، فأمر النبي ﷺ أن يُنادي: «**ليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه**» - أي مشاكله -، والإحسان إليه يتمّ بـ «**إذا سألك فأعطِه، وإن استعانك فأعِنه، وإن استقرضك فأقرِضه، وإن دعاك فأجبه، وإن مرض فعُده...**»... ويؤكّد النبيّ ﷺ على الإحسان له بالقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه**». والنبيّ ﷺ ينفي صدق الإيمان بمن لا يعيش ألم جاره، فيقول: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع**».

والإمام الصادق عليه السلام يرى أنّ حُسن الجوار يتجاوز كفّ الأذى عنه، إلى الصبر على أذاه، ومبادلة إساءته بالإحسان إليه: «**ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن صبرك على الأذى**».

ج -«**ولا يشمت بالمصائب**»... المؤمن التقيّ هو الذي يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها، كما قال الإمام علي عليه السلام في وصيّته لولده الإمام الحسن عليه السلام،



فهو لا يشــمت بمصــائب غيره، حتّى ولو كانــوا من الذين يختلف معهم، أو الذين يضمرون له العداوة، فإذا ما مات أحد أقاربهم بادر إلى إظهار الأســف، وســارع إلى تقديم التعزية، وكذلك إذا ما خسر في صفقة تجارية، أو تبدلت أوضاعه المالية في مؤسّسة، أو أصابه مكروهٌ في حياته... إنّ صفة الشّماتة هي بعيدة عن الخُلُق الإنساني.

فـقـل لـلـشـامـتـيـن بـنـا أفـيـقـوا

سـيـلـقـى الـشـامـتـون كـمـا لقينا

فأنت الآن تشمت بصاحبك حينما تحلّ به مصيبة، أو تحصل له خســارة، فما الضمانة بأن لا تُصــاب بمثل ما أصابه، وبأن لا يشمت بك كما شمتَّ به، ومن حفر حفرةً لأخيه أوقعه اللّه فيها.

فالشماتة تدلّ على الوحشيّة الشخصيّة، أي أن يتلذّذ بآلام الآخريــن، ويرتاح لتعبهم، فالمســلم الحقّ هو من ينفتح على مشــاكل الآخرين، ليواسيهم بها، ويساعدهم علــى معالجتها. المســلم التقيّ الحقّ هو صــاحب القلب المفتوح بالعاطفة والمحبّة على كلّ النـاس.

د- «**لا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق**»:

الباطل هو نقيض الحق، والمؤمن التقي هو من يلتزم التقوى، والتقوى هي الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه، وهي السعي إلى رضا الله فيما يقوله ويفعله، إنّه مع الله الحق، وإن كلّ ما سواه هو الباطل.

المؤمن التقيّ هو مع الحقّ حتّى ولو أدّى إلى ضررٍ في نفسه أو ماله أو موقعه، إنّه يعترف بالحقّ للآخر، ويعترف بذنبه إذا أخطأ، إنّه لا يتعصّب للخطأ ولا للباطل، إنّه مع الحقّ يدور معه كيفما دار.

هـ - «**إن صَمَتَ لم يغمّه صمته، وإن ضحك لم يَعلُ صوته...**». التقيّ الورع هو إنسانٌ لا يشعر بالغم أو الحزن إذا سكت، فسكوته ليس مزاجاً، ولا رغبة بالصمت لمجرّد الصمت، بل السكوت لديه سيكون فكراً ودرساً وبحثاً لأوضاعه ومشاكله وخططه، التي هي لصالح الأمّة كلّها.

والتقيّ الورع هو إنسانٌ لا يعلو صوته بالقهقهة إذا ضحك، بحيث يثير الضوضاء في المنزل أو غيره، فالإنسان يضحك ليعبّر عن الإحساس بالفرح. وهذا يتمّ بشكلٍ هادئ وموزون، يُقال عن النبي ﷺ إنَّ ضحكه كان التبسُّم. فالإنسان عليه أن يعبّر عن فرحه بطريقة حضارية، ويعبّر



عن مشاعره بطريقةٍ هادئةٍ لا صاخبة مزعجة.

و- «**وإن بُغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له...**».

والصبر من الإيمان، وهو بمنزلة الرأس من الجسد، ومن ميزة المؤمن التقيّ هو الصبر في جميع حالات البلاء، وبالأخص حينما يُظلم دون وجه حق، فهو من حقّه أن يواجه الإساءة بمثلها، والعدوان بمثله، ولكنّه يتجاوز عقدة الثأر والانتقام ليعفو ويصفح، امتثالاً لتوجيه الله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ**﴾ [النحل:١٢٦]. فالإنسان التقيّ هو من يصبر، ليترك أمره لله تعالى، لينتقم هو له، ويرى فيه رأيه، وهذا أفضل من أن ينتقم لنفسه.

٥ ـ مسؤوليّة التقوى: «**نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه**».

المؤمن التقيّ إنسانٌ يعيش رقابة الله في كلّ لحظات عمره، يجاهد نفسه ويربّيها، ويعلّمها، ويضبط أقوالها وأفعالها ومواقفها، إنّه يعيش حالة طوارئ، مشغولٌ دائماً



بمحاسـبة نفسـه ليعصـمها من الخطأ، ويحصّنها من الانحراف، إنّه يُتعب نفسه من أجل أن يتحوّل إلى عنصر خيرٍ وحقٍّ وصلاح وإصلاح في هذه الحياة، ليعيش الناس معه الراحة، فلا أذىً، ولا عدوان، ولا حسد، ولا حقد، بل محبّة، وصدق، وأمانة، ووفاء...

إنّـه مع نفسـه في جهـادٍ ومحاسـبة، والنّاس معه في راحة وأمن واسـتقرار، إنّه المسلم الذي سَلِم المسلمون من يده ولسانه.

إنّه أتعب نفسـه لآخرته، فانكبّ علـى عبادة اللّٰه تعالى وخدمـة النـاس، فتحمّل بذلك قيام الليل وجهد النهار، من أجل أن يفوز برضـى اللّٰه ومحبّته ورحمته، ويكون مصـدر خير وراحة للناس، بحيث لا يصدر عنه شرّ أو أذى لأحد.

٦ـ العلاقـة مع الآخر: «**بُعـده عمّن تباعـد عنه زَهدٌ ونزاهة...**» فعندما يبتعد عن النّاس، لا يبتعد عنهم نتيجة عقـدة أو حقد أو عـداوة... بل نتيجة زهـد فيما لديهم، ممّا يرهق تقواه، ويبتعد به عن صدق الالتزام، إنّه بذلك ينزّه نفسه وعرضه عن كلّ ما يشوّه إيمانه وسلوكه.



- «**ودنوّه ممّن دنا منه لينٌ ورحمة...**»: أمّا إذا دنا من الآخر، فإنّه لا يدنو منه لمصلحة شخصية، أو لطمعٍ خاص، بل من جهة محبّته ولين قلبه، ولين كلمته ورحمته.

- «**ليس تباعده بكِبْر وعظمة، ولا دنوّه بمكر وخديعة**»: فعندما يتباعد عن الناس، لا يتباعد لأنّه متكبّر ومتعال، فليس لديه أدنى شعور بالزهو والعظمة، وعندما يدنو من الناس، ويتقرّب إليهم، ويعيش معهم، فإنّه لا يبتغي من وراء ذلك المكر والخديعة، إنّه واضح، يحبّ كلّ النّاس، لا يبتعد عنهم إلا لحماية نفسه، ولا يدنو منهم إلا لمزيدٍ من الفائدة والخير والمصلحة لهم.

(قال): فصَعِق (همّام) صعقة كانت نفسه فيها[١]، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أما والله لقد كنت أخافها عليه**»

ثم قال: «**هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها**»، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟[٢]

فقال عليه السلام: «**ويحك... إن لكلِّ أجلٍ وقتاً لا يعدوه،**

(١) صعق: غشي عليه.
(٢) فما بالك لا تموت مع انطواء سرّك على هذه المواعظ البالغة؟ وهذا سؤال الوقح البارد.



وسبباً لا يتجاوزه، فمهلاً لا تعد لمثلها، فإنّما نفث الشيطان على لسانك!»

بهذه الكلمات يختم الإمام عليٍ عليه السلام خطبته في صفات المتّقين، لنقتبس منها دروعاً وعِبراً، لنأخذ بأسباب التّقوى، ولعلّ اللّه تعالى يرزقنا نعمة أن نكون من المتّقين.

هذه هي كلمات علي عليه السلام ، وكلمات علي عليه السلام هي كلمات الإسلام، والالتزام بها يتطلّب كثيراً من الجهد والرقابة والتضحية بكثير ممّا نطمع ونطمح، فإذا أردنا أن نتبنّى ولاية علي عليه السلام وخطّ علي عليه السلام علينا أن نستحضر قول الإمام محمد الباقر عليه السلام :

«أفيكفي من ينتحل التشيّع أن يقول أُحبُّ علياً وأتولاه، ثم لا يكون فعّالاً، فرسول الله خيرٌ من علي، أفحسب الرجل أن يقول أحب رسول الله ثم لا يعمل بسنّته»، ثم قال عليه السلام ، **«والله لا تُنال ولايتنا إلا بالورع»**. هذا هو خطّ علي عليه السلام وفي ذلك فلينافس المتنافسون.



الفهرس





هكـذا غـرس السـيّد (رض) في نفوسـنا حبّ عليّ، فحبّ عليٍّ ينطلق من حبِّ الله وحبِّ رسـول الله، وهذا الحبّ يفتـح آفاق التقوى واسـعة أمام العيون والقلوب..

المركز الإسلامي الثقافي